



د. أحمد عبدالملك

كلمات

ما بين المواطنة والوطنية

يقراون كتباً خارج المنهج المقرر. بالنسبة لتعزيز الأمن الفكري، رُيد أن حاجة الإنسان للأمن الفكري لا تقل أهمية عن حاجته للأمن العسكري والأمن الاجتماعي والأمن الغذائي والأمن الصحي والأمن النفسي، لأن الأمن الفكري مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة، وأن أية تيارات خارجية قد تشوه ثقافة الإنسان وموروثه الحضاري، والأمن الفكري مناط به حماية المجتمع من أية أفكار هدامة، التي غالباً ما تأتي من الخارج، وقد تنشأ أحياناً من داخل المجتمع، ما هو الحال في قضايا الإرهاب والتفجير بالمشرد، وترويج المخدرات، كما أنه لا يمكن أن يكون هناك أمن سياسي ما لم يتواجد أمن فكري؛ فإقرار المجتمع يمكن أن تقوده الآلة الأمنية لفترة من الزمن، ولكن ليس على طول الزمن؛ نظراً للمتغيرات السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية. وكلما كانت هناك حرية في التفكير والاختيار، تعزز الأمن الفكري في المجتمع، وأصبح الفرد مشاركاً فاعلاً في الحياة العامة في المجتمع، كما أنه لا يمكن تحقيق الأمن الفكري من دون ممارسة المواطنة كاملة. لأن مقابل التزام المواطن بالواجبات يتربط على حقه في الحصول على حقوقه في نفس الوقت، وإذا ما تحققت المواطنة الكاملة، فإنه يصبح اختراق المجتمع من قبل أعداء البلاد، ويقوى التماسك المجتمعي، ويزيد في مناعة المواطن وقوته في التصدي للأخطار الغازية المخالفة لصيرورة المجتمع ومعتقداته وتقاليد، فالمجتمع الذي يعزز دور القبيلة أو العائلة على دور الوطن، وتطبق (أنا وأخي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب) لا شك أنه مجتمع هش وقابل للاختراق الفكري، كما أن استعمار العقول له نتائج خطيرة أكثر من استعمار الأرض. ذلك إن لم تكن الناكرة الجمعية للمجتمع قادرة على استيعاب ما يجري حولها، ولا تستشرف المستقبل، ولا يكون لها قوة للتحليل الموضوعي المنهجي لما يدور حولها، فإنها هي الأخرى قابلة للاختراق، خصوصاً عند الأزمات الكهيرة.

ومن نتائج تشوه الفكر المجتمعي عدم توحد المجتمع على لغة واحدة، فالقوم تعاني المجتمعات الخليجية من تغلغل اللغة الإنجليزية جنباً إلى جنب مع اللهجات المحلية، ولقد وصل ذلك إلى وسائل الإعلام الرسمية، وهذا يلحق ضرراً بآليات التفكير، والتفاهات بين أفراد المجتمع، ويساهم في تشوه الأوعية المحافظة للثقافة العربية بل وللثقافة الإسلامية على وجه الخصوص.

وأخيراً فإن بناء مجتمع المواطنة يستوجب تصافير الجهود ما بين المجتمع والدولة، دون إلقاء كامل العبء على الدولة، ذلك أن المشاركة تُحتم أن يكون الفرد فاعلاً في قضايا التنمية، تمارساً إيجابياً للمواطنة، وأن يتأني ذلك إلا بوجود خطوات وتحسينات تؤمن له الأمن الفكري.

والمعايير الحقوقية والقانونية التي تمكن الإنسان من التفاعل مع مجتمعه بصورة إيجابية عبر مشاركته في إدارة شؤونه في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية، أما الوطنية فهي تلك الشاعر والمظاهر التي يعبر الإنسان خلالها عن حبه لوطنه وقيادته ويقف مع الوطن والقيادة في السراء والضراء، كما لفتُ النظر إلى أن حمل جنسية بلد معين لا يعني ممارسة المواطنة، فاللواطنة الحققة أهم من الجنسية، وليس كل متجنس أو حامل للجنسية بالضرورة يمارس مواطنته، ما لم يتشكل وجدانه وضميره وثقافته في البيئة التي يعيش فيها ويتنمي لأهلها وللأرض مئاً.

ومن اشتراطات المواطنة الأساسية:

1 قاعدة المساواة في الحقوق والواجبات؛ دون تميز بسبب الدين أو اللون أو اللغة أو الجنس أو العرق أو النشأ الاجتماعي، أو لأي سبب آخر.

2 قاعدة الحرية كقيمة علياً لا يمكن تحقيق الحقوق الإنسانية الأخرى بدونها، فهي المدخل والبوابة الضرورية لجميع الحقوق، بما فيها حق التعبير، وحق تأسيس الجمعيات والأحزاب، وحق المشاركة في إدارة الشؤون العامة وتولي المناصب العليا، وإجراء انتخابات دورية على حق التملك والتنقل وعدم التعرض إلى التعذيب.

3 قاعدة العدالة بجمع صنوفها وأشكالها.

4 قاعدة الحق في المشاركة.

(المصدر: د. عبدالحسين شعبان، الهوية والمواطنة، الجدل المتبسة والحدائق المتعثرة، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2017، ص 29)

ورغم عدم تحقق تلك القواعد في معظم البلاد العربية، إلا أننا نلاحظ أن واضعي الدساتير التي تنظم حياة المجتمع كثيراً ما يربطون النص الدستوري المانع بعبارة (وفق القانون)، ثم يأتي نص القانون ليحجر ما نص عليه الدستور. كما أن بعض المجتمعات تربط بين حق المطالبة بتحقيق المواطنة عملياً بالغرب لأنها - حسب اعتقادهم - مفهوم غربي يدخل على الثقافة العربية والإسلامية. وتعتبر بعض الأنظمة المطالبة بالمواطنة خيانة للوطن، وترى بعض الجماعات أن الولاء ليس فقط للدولة، بل للجماعة أو القبيلة؛ وهذا مفهوم تجاوزه الزمن.

لقد تطرقنا إلى دور التعليم في تعزيز المواطنة، لأنه يشكل وجدان الإنسان، وحقه في المطالبة بحقوقه كاملة مقابل التزامه بتأدية الواجبات المطلوبة منه؛ وأنه من المفيد أن تكون هناك مساحات لتعليم المواطنة جنباً إلى جنب مع مادة التربية الوطنية. ولقد لاحظنا أن مستوى طلبة وطالبات المرحلة الجامعية متوضّحاً في قضية فهم واستيعاب مفهوم المواطنة، بل وأن لغة المجتمع العربية غائبة عن كثير من الطلبة والطالبات لأنهم لا يستخدمونها في تواصلهم، كما أنهم لا

نظم قسم الشؤون الدولية بجامعة قطر ندوة هامة بعنوان (استراتيجيات الأمن الوطني في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية)، يوم الأحد الماضي، وتوقّنت في هذه الندوة قضايا هامة تختص باستراتيجية الأمن الوطني، ومنها:

- مراكمة مصادر القوة العسكرية وبناء أخلاق قوية في الدفاع المشترك.
- الحفاظ على تماسك النظام السياسي وتعزيز قيم المشاركة السياسية.
- تقوية الدبلوماسية العامة في بناء السمعة الوطنية.
- تحقيق الأمن الغذائي والرفق من القدرة التنافسية للاقتصاد الوطني.
- بناء مجتمع المواطنة والحرريات وتعزيز الأمن

الفكري. ولقد تحدث متخصصون في تلك القضايا، وجرحت مناقشات بين الطلبة والطالبات وبين المحاضرين على خلفية ما ترمّ به النطق من منجزات سياسية لعل أبرزها الحصار المفروض على دولة قطر منذ الخامس من يونيو من العام الماضي.

نحن نعتقد أن الخطوات التي قامت بها الدولة منذ أولى لحظات الحصار أمنت استمرار حياة المواطنين والمقيمين، وأن تسير الحياة على ذات الوتيرة التي سبقت الحصار، بل إن الوعي المحلي قد فتّح، ودخل الشباب في مشاريع الحفاظ على المقدرات وبناء الخدمات التكافلية، عبر المشاريع الصغيرة، ناهيك عن

استمرار بناء البنى التحتية لشوارع مونداليان 2022، والتي لم تهدأ وتيرتها. وكانت الندوة فرصة لتناول موضوع الأمن الداخلي وتعزيز السجية الداخلية، والأمن الغذائي، وكذلك مواجهة قضية استنزاف المياه الجوفية، وطرح الحلول الناجمة لتأمين متطلبات المجتمع من الماء، وعلى الجانب العسكري طرقت الطرق على أية محاولة من دول الحصار للتفكير بعمل عسكري، وذلك عبر عقد اتفاقيات مع دول صديقة، كان أبرزها مع الجمهورية التركية، وبذلك تم نزع فتيل الخيار العسكري، وإن كان قد تم الإعداد له بصورة عملية من قبل دول الحصار، كما لعبت الدبلوماسية القطرية دوراً مهماً في تعريف العالم بحقيقة الحصار وأهدافه، إذا لم تتوقف زيارات حضرة صاحب السمو الشيخ تميم بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى إلى بقاع العالم شرقاً وغرباً، لتعزيز علاقات التفاهم والتعاون مع دول العالم، كما لعبت وزارة الخارجية ممثلة بسعادة الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل ثاني وزير الخارجية دوراً مؤثراً في الرد الحاسم على كثير من إساءات دول الحصار، وما أُثير في وسائل الإعلام حول دوافع الحصار وأهدافه، ولقد تحدثت في محور (بناء مجتمع المواطنة وتعزيز الأمن الفكري)، وكان رأيي أن هناك خلطاً واضحاً في مفهومي الوطنية والمواطنة، يبحث خلطاً كثيرين بين المفهومين فالوفاطنة هي القيم

أساذ الإعلام المشارك كلية المجتمع - قطر